

الشفاعة

الشيخ
محمد حسام

دار الفکر للطباعة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

دار ابن رجب طبع، نشر، توزيع

قارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٢٠٥٠٢٣٢٠٦٨

الشفاعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .
أما بعد ؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتني في الله :

جاء في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا »^(١).

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) ، في صفة الجنة .

فإذا ما رأت الخلائق زفرت وزمجرت غضباً
منها لغضب الله .

فحيثذ تحثو جميع الأمم على الركب ..
ولقد سجل القرآن هذا المشهد حيث قال
الله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى
إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الجنابة : ٢٨]

وفي هذه اللحظة تطير قلوب المؤمنين شوقاً
إلى الجنة ، وتطير قلوب المجرمين فرعاً ،

وهلعا ، وهربا من النار ، ويعض صنف كثير
من الناس في أرض المحشر على أنامله تحسرا
على ما قدم في هذه الحياة الدنيا - ولكن -
هيهات .. هيهات !!

قال تعالى : ﴿ اَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اَلْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ ۝
وَكَانَ يَوْمًا عَلٰى الْكَافِرِيْنَ عَسِيْرًا ۝ وَيَوْمَ
يَعْصُ الطَّالِمُ عَلٰى يَدَيْهِ يَقُوْلُ يَلَيْتَنِيْ اَتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُوْلِ سَبِيْلًا ۝ يَنْوَلِّئُنِيْ لَيْتَنِيْ لَمَّا اتَّخَذْتُ
فُلَانًا خَلِيْلًا ۝ لَقَدْ اَضَلَّنِيْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ اِذْ

جَاءَنِي وَكَارَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿
[الفرقان: ٢٦ - ٢٩]

في هذا الكرب ينطلق بعض الناس ويقول
بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟! ألا
ترون ما قد بلغنا؟! ألا تنظرون من يشفع
لكم عند ربكم ليقضي بينكم؟!!

فلا يتقدم للشفاعة يومئذ إلا صاحبها .
سيد ولد آدم محمد بن عبد الله ﷺ وحينها
يقول كل نبي نفسي .. نفسي!! ويقول حبيبنا

محمد ﷺ أنا لها ، أنا لها .

أولاً : الشفاعة العظمى

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ثم قال : « هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَاكَ !!؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ ، وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَتَذْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا

تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ ؟!! أَلَا
تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ
بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَأْتُونَهُ
فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ
بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ
فَسَجَدُوا لَكَ ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا
إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا ؟
فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ
قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ تَهَابِي

عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي
 ... اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ
 نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى
 أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا ،
 أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا ؟
 أَلَا تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي
 غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَكِنْ
 يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ
 دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ،

اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ...
 فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ ،
 وَخَلِيلُهُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ
 أَمَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي
 قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ،
 وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ
 ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ . فَذَكَرَهَا ، نَفْسِي ، نَفْسِي ،
 نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَى ،
 فَيَأْتُونَ مُوسَى . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ،

فَضَّلَكَ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشفَعْ
لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ :
إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ
مِثْلَهُ ، وَلَكِنْ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ
نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي
اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، فَيَأْتُونَ
عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى

إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ
 غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَكِنْ
 يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ، نَفْسِي ،
 نَفْسِي ، نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى
 مُحَمَّدٍ ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ وفي رواية : « فَيَأْتُونِي
 - فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
 ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى
 إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ ، فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ،

فَأَقْعُ سَاجِدًا لِلرَّبِّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ
وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سَيِّئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ،
ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ، ازْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلِّ تُعْطَ ،
وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَزْفَعْ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ
أُمَّتِي^(١) .

فتعالَ معيَ أخي الحبيب نعيش مع بعض
فقرات الحديث سريعاً :

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٣٤٠) في الأنبياء ،
ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان .

لقد بلغ من الناس ما بلغ بهم من : شمس
تدنو فوق الرؤوس بمقدار الميل ، هم وكرب
وغم مالا يطيقون ولا يتحملون .

فلما بلغ بهم الحال لهذا الحد العصيب
الرهيب بلغ بهم المقال ، فقال بعض الناس
لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ، ألا ترون ما قد
بلغنا ؟ ألا تنظرون من يشفع لنا إلى ربنا ؟ .
فيقولون بعضهم لبعض : أبوكم آدم . فيأتون
آدم عليه السلام فيقول آدم عليه السلام : نفسي ، نفسي ،

نفسى اذهبوا إلى غيري...!! اللهم سلم سلم
يا أرحم الراحمين . فيأتون نوحًا عليه السلام . ذلكم
العملاق الذي ظل يدعو إلى الله ألف سنة إلا
خمسين عامًا ، ذلكم النبي الكريم الذي دعى
قومه في السر والعلن في الليل والنهار فلم
يستجيبوا إلا من رحم الله .

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا
وَنَهَارًا ۚ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۚ وَإِنِّي
كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي

ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
 اسْتِكْبَارًا ﴿٩٠﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ إِنِّي
 أَعْلَنْتُهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩٢﴾ [نوح: ٩٠-٩٢]

ما ترك هذا النبي الكريم العملاق سبيلاً
 إلا وسلكه ، ألف سنة إلا خمسين عاماً لم ينم ،
 ولم يهدأ ، ولم يقر له قرار ، ومع ذلك يقول
 نبي الله نوح : نفسي ، نفسي ، نفسي ... اذهبوا
 إلى غيري ..

ولقد دعى نبي الله نوح دعوته ، فلكل نبي

(الشفاعة)

دعوة مستجابة ، كل نبي تعجل بهذه الدعوة
 في الدنيا إلا المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم
 « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ ، وَكُلُّ نَبِيٍّ قَدْ تَعَجَّلَ
 دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ »^(١).

نوح دعا على قومه كما سجل القرآن ،
 فقال تعالى : « وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ

(١) متفق عليه : رواه البخاري تعليقاً في الدعوات ، ورواه
 مسلم رقم (٢٠٠) في الإيمان .

مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا
عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوْا إِلَّا فَاٰجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

[نوح: ٢٦ - ٢٧]

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول خليل الله : إن
ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله ، ويذكر إبراهيم
كذباته ثم يقول : نفسي ، نفسي ، نفسي ،
اذهبوا إلى غيري !!!
أتعرف ما هي كذبات إبراهيم ؟! كذباته !..

وهل كذب إبراهيم؟!

الجواب : من صحيح البخاري من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه قال : لم يكذب إبراهيم قط إلا
ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي
سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾

وواحدة في شأن سارة ، فإنه قدم أرض
جبار ، ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ،
فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي

يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي ،
فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في
الأرض مسلماً غيري وغيرك ، فلما دخل
أرضه رآها بعض أهل الجبار ، فأتاه ، فقال :
لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون
إلا لك ، فأرسل إليها ، فأتى بها ، فقام
إبراهيم إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم
يتمالك أن بسط يده إليها ، فقبضت يده قبضة
شديدة فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا

أضرك ، ففعلت فعاد ، فقبضت أشد من
القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت ،
فعاد ، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ،
فقال : ادعي الله أن يطلق يدي ، فلك [الله]
أن لا أضرك ففعلت ، وأطلقت يده ، ودعا
الذي جاء بها ، فقال : إنك إنما جئتني بشيطان ،
ولم تأتني بإنسان ، فأخرجها من أرضي
وأعطها هاجر ، قال : فأقبلت تمشي ، فلما رآها
إبراهيم انصرف ، فقال لها : مَهْمُ ، قالت : خيرًا ،

كف الله يد الفاجر وأخَذَ خادماً ، فقال أبو
هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء ^(١) .
هذه كذبات إبراهيم التي ذكرها ثم قال :
اذهبوا إلى غيري .. اذهبوا إلى موسى .. !! إنه
الكليم .. إنه المصطفى بالرسالة .. إنه المجتبي
بالكلام إنه المصنوع على عين الله . ﴿ وَلِتُصْنَعَ
عَلَى عَيْنِي ﴾ .

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٣٥٨) في الأنبياء ، ومسلم
رقم (٢٣٧١) في الفضائل .

اصطفاه الله برسالته على جميع الخلق
 واصطفاه بالكلام على جميع الخلق ومع ذلك
 يقول : نفسي .. نفسي .. نفسي !! اذهبوا إلى
 غيري .. اذهبوا إلى عيسى .

سبحان الله !! حتى الكلیم يقول : اذهبوا
 إلى غيري اذهبوا إلى عيسى !! فيأتون عيسى
 ﷺ فيقول عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب
 اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
 بعده مثله ، اذهبوا إلى غيري نفسي ، نفسي ،

نفسى ، ولم يذكر عيسى عليه السلام ذنباً من الذنوب
أذهبوا إلى محمد بن عبد الله عليه السلام .

يقول الحبيب : فيأتوني فأقول : أنا لها ، أنا
لها . يقول : فأقوم فأخر ساجداً لربي تحت العرش
فينادي عليه الملك جَلَّ جَلَّاله ويقول : يا
محمد ارفع رأسك وسل تُعْطَ واشفع تشفع
فيقول الحبيب عليه السلام : أمتي أمتي .. يا رب أمتي .
سبحان الله !! انظر كم حب الرسول لأمته
!! إنه الخليم الأواه صاحب القلب الكبير ،

صاحب القلب الرحيم الذي قال الله في حقه
﴿يَا مُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] قرأ
يومًا قول الله في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِبْرَاهِيمَ أَضَلَّنَا
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]

وقرأ قول الله في عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[المائدة: ١١٨]

فبكى فأنزل الله إليه جبريل عليه السلام وقال: يا

جبريل سل محمدًا ما الذي يبكيك؟ وهو أعلم،
فتزل جبريل وقال: ما يبكيك يا رسول الله؟
قال: أمتي.. أمتي يا جبريل، فصعد جبريل
إلى الملك الجليل. وقال: يبكي على أمته،
والله أعلم، فقال لجبريل: انزل إلى محمد وقل
له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك فيقول:
يا رب أمتي.. يا رب أمتي.. يا رب أمتي.
وفي حديث الصور الطويل الذي رواه
الطبري والطبراني والبيهقي وأبو يعلى الموصلي

وأورده السيوطي واستشهد به ابن أبي العز الحنفي ، وللامانة العلمية التي عاهدنا الله عليها فإن الحديث بطوله ضعيف ، ففيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف ؟ كما قال أهل الجرح والتعديل وفيه محمد بن زياد وهو مجهول فيه ما يتفق مع سياق حديث أبي هريرة الذي ذكرته آنفاً .

يقول المصطفى ﷺ : فأخر ساجداً تحت العرش فيقال لي : ما شأنك وهو أعلم فيقول

المصطفى ﷺ: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني
في خلقك فأقضي بينهم ، فيقول الله جَلَّ وَعَلَا
قد شفعتك .. أنا آتيكم لأقضي بينكم .

يقول المصطفى ﷺ : فأرجع لأقف مع
الناس في أرض المحشر ، وتنتظر البشرية كلها
مجيء الملك جَلَّ جلاله مجيئاً يليق بكماله
وجلاله ، فكل ما ورد ببالك فالله بخلاف ذلك
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
[الشورى : ١١] فصفة النزول ، وصفة المجيء ،

وصفة الإتيان ، وصفة الغضب ، صفات لله جلّ
جلاله نثبتها كما جاءت من غير تحريف ، ولا
تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل قال
تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
قال علماءنا : استوى كما أخبر ، وعلى
الوجه الذي أراد ، وبالمعنى الذي قال ،
استواء منزها عن الحلول والانتقال .
فَلَا الْعَرْشُ يَحْمِلُهُ وَلَا الْكُرْسِيُّ يُسْنِدُهُ
بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ وَالْكُرْسِيُّ وَعَظَمَتْهُ

الْكُلُّ مَحْمُولٌ يُلْطَفُ قُدْرَتِهِ
مَقْهُورٌ بِجَلَالِ قَبْضَتِهِ
فلاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان

به واجب، والسؤال عنه بدعة.

سأل رجل إسحاق بن راهويه وقال: يا
إسحاق كيف تؤمنون بآله يتنزل كل ليلة من
عرشه إلى السماء الدنيا؟!

فقال: يا هذا إن كنت لا تؤمن به فإننا
نؤمن بآله يتنزل كل ليلة من عرشه إلى السماء

الدنيا ، ولا يخلو منه عرشه .
 من كان منا يتصور أن النمل يتكلم ، وما
 عرف ذلك وفهمه إلا يوم أن قرأ في القرآن
 الكريم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ
 نَمْلَةٌ ﴾ [النمل - ١٨]

من كان منا يتصور أن هناك شيء لا يمشي
 على رجليه وإنما يمشي على بطنه حتى رأيت
 الحية تمشي على بطنها وما شاكلها وهكذا .
 من زعم أنه يعرف كيفية ذات الله جلَّ

وَعَلَّا فَهوَ وَاهِمٌ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ :

﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهٖ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]

جَلَّ جلاله .. لا ند له ، ولا كفء له ، ولا

شبيه له ، ولا نظير له ، ولا مثيل له ﴿قُلْ هُوَ

اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]

والسؤال : من الذي يشفع للبشرية كلها

لفصل القضاء !!؟

لم يشفع للبشرية كلها لفصل القضاء إلا

المصطفى ﷺ:

أيها الموحدون: والله لا يعرف قدر رسول
الله إلا الله .

إن قدر رسول الله ﷺ عند الله لعظيم ! وإن
كرامة النبي ﷺ عند الله لكبيرة !

فهو المصطفى وهو المجتبي ، فلقد اصطفى
الله من البشرية الأنبياء واصطفى من الأنبياء
الرسل ، واصطفى من الرسل أولى العزم ،
 واصطفى من أولى العزم الخمسة : إبراهيم ،

ومحمد ، واصطفى محمد ففضله على جميع
 خلقه . شرح له صدره ، ورفع له ذكره ،
 ووضع عنه وزره ، وزكاه في كل شيء :

زكاه في عقله فقال سبحانه : ﴿ مَا ضَلَّ
 صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢]

زكاه في صدقه فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ
 عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: ٣]

زكاه في صدره فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ
 لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١]

زكاه في فؤاده فقال سبحانه : ﴿ مَا كَذَّبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١]

زكاه في ذكره فقال سبحانه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]

زكاه في طهره فقال سبحانه : ﴿ وَوَضَعْنَا
عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢]

زكاه في علمه فقال سبحانه : ﴿ عَلَّمَهُ
شَدِيدَ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥]

زكاه في حلمه فقال سبحانه : ﴿ يَا مُؤْمِنِينَ

رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿ [التوبة: ١٢٨]

زكاه كله فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي

عَظِيمٍ ﴿ [القلم: ٤]

بأبي هو وأمي ﷺ ... هو رجل الساعة ،

نبي الملحمة ، صاحب المقام المحمود - الذي

يغبطه عليه كل نبي في أرض المحشر - الذي

وعد الله به نبينا في قوله : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ

بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

مَحْمُودًا ﴿ [الإسراء - ٧٩]

فهذا هو المقام المحمود كما في حديث
مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « أَنَا
سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ
عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ »^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة
كذلك أنه ﷺ قال : « إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ
قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا
مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَائِهِ فَجَعَلَ النَّاسَ

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) في الفضائل .

يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعَجُّونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَا
وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّيْنَةُ ؟ فَأَنَا اللَّيْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ
النَّبِيِّينَ ^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه
ﷺ قال : « فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ :
أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ - فهو البليغ الفصيح
- وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ - وفي لفظ البخاري

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٥٣٥) في المناقب ، ومسلم
رقم (٢٢٨٦) في الفضائل .

مسيرة شهر - وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ ، وَجُعِلَتْ
لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى
الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ ^(١) .

هذه مكانة النبي محمد ﷺ ، بل لقد أنزل
الله ليربي وليعلم الصحابة كيف يتأدبون
ويعظمون رسول الله ﷺ ، وكيف يوقرون
رسول الله ﷺ وكيف يتأدبون حتى في النداء

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٩٧٧) في الجهاد ومسلم
رقم (٥٢٣) في المساجد في فاتحته .

على رسول الله ﷺ .. ولكن الآن ما الذي
حدث للأمة !!؟

فإن الأمة لم تعرف قدر نبيها إلا من رحم
الله ، ولم تعظم رسولها بل وقد أساءت الأدب
مع رسول الله ﷺ . فهجرت الأمة شريعته ،
وَنَحَّتْ الأمة سنته ، ولم تعد الأمة تحيد إلا أن
تتغنى برسول الله ﷺ في ليلة مولد ، في ليلة
هجرة ، في ليلة نصف من شعبان !!
فالأمة الآن ما عادت تحيد إلا الرقص

والغناء ، إنها عشقت الهزل وتركت الجد
والرجولة ، أمة تدعي الحب لرسول الله
وتتغنى برسولها في المناسبات والأعياد الوطنية
في الوقت الذي نحت فيه شريعته وهجرت
فيه سنته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أحبي في الله :

الشمس فوق الرؤوس ، الزحام وحده
يخنق الأنفاس ، البشرية كلها في أرض المحشر
من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة ،

في هذا الموقف الرهيب المهيب .

المصطفى ﷺ واقف على حوضه ، والخوض
مأؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ،
وأطيب ريحاً من المسك ، عدد كيزانه بعدد
نجوم السماء ، من شرب منه بيد الحبيب شربة
لا يظماً بعدها أبداً^(١) حتى يتمتع بالنظر إلى
وجه الملك في جنات النعيم .

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٧٩) في الرقاق ومسلم
رقم (٢٢٩٢) في الفضائل .

اللهم اسقنا منه شربة هنيئة مريئة لا نظماً
بعدها أبدا يا أرحم الراحمين .

روى البخاري من حديث سهل بن سعد
الساعدي يقول النبي ﷺ : « أَنَا قَرُطُكُم عَلَى
الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ
شَرِبَ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَى الْحَوْضِ قَوْمٌ
أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » وفي
لفظ في الصحيح « ثُمَّ يَحْتَلِجُونَ دُونِي » فَأَقُولُ :
إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي . إِيَّاهُمْ مِنْ أُمَّتِي . فَيَقَالُ : إِنَّكَ لَا

تَدْرِي مَا أَحَدْتُمْوَا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا
لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»^(١).

ومعنى ذلك أن اتباع نهج المصطفى ﷺ هو
سبيل الفوز والنجاة .

انظر إلى الموحدين الذين امتثلوا أمر النبي
ﷺ ، ونهيه ، وتعلم كيف كانوا حتى في آخر
لحظات لهم في هذه الدنيا .

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥٧٦) في الرقاق ومسلم
رقم (٢٣٠٤) في الفضائل .

فهذا معاذ بن جبل على فراش الموت نائم ،
يدخل عليه الليل ويشتد به الألم فينظر لأصحابه
ويقول : هل أصبح النهار ؟! فيقولون : لا لم
يصبح بعد ، فيبكي معاذ بن جبل ويقول :
أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار .
معاذ بن جبل يخشى أن يكون من أهل
النار !!

وهذا هو فاروق الأمة الأواب أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب الذي أجرى الله الحق على

لسانه وقلبه ، يدخل عليه ابن عباس بعدما
طُعن ليذكره وليثني عليه الخير كله فيقول عمر :
إن المغرور من غررتموه ، والله لو أن لي ملاً
الأرض ذهباً لافتديت به اليوم من عذاب الله
قبل أن أراه .

ثم قال عمر : وددت أن أخرج من الدنيا
كفأفاً لا لي ولا عليّ . سبحان الله !!

وهذه هي عائشة تسأل عن قول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ﴾ [فاطر: ٣٢]

فتقول عائشة : يا بني أما السابق بالخيرات
فهؤلاء الذين ماتوا مع رسول الله ﷺ وشهد
لهم رسول الله بالجنة ، وأما المقتصد فهؤلاء
الذين اتبعوا أثر رسول الله ﷺ حتى ماتوا على
ذلك وأما الظالم لنفسه فمثل ومثلك .

الله أكبر !! جعلت عائشة نفسها معنا .

جعلت عائشة نفسها من الظالمين لأنفسهم !!
وهذا هو سفيان الثوري - إمام الدنيا في
الحديث - ينام على فراش الموت فيدخل عليه
حماد بن سلمة فيقول : أبشر يا أبا عبد الله إنك
مقبل على ما كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين .
فبكى سفيان وقال : أسألك بالله يا حماد
أتظن أن مثلي ينجو من النار ؟!! انظر كيف
كانوا ؟! وماذا قالوا ؟ انظر إلينا كيف
أصبحنا ؟! وماذا نقول ؟!

شتان .. شتان ، نحن جميعًا نقول من منا لا
يدخل الجنة؟! من منا لا يشفع له رسول الله ﷺ؟!
ها هو الحديث في البخاري يبين فيه
الحبيب النبي ﷺ أنه سيحال بينه وبين أقوام
حرّفوا وبدّلوا وانحرفوا عن سنته ﷺ.

ثانيًا : من أسعد الناس بشفاعة المصطفى ﷺ يوم القيامة

هذا هو عنصرنا الأخير في هذا اليوم
الكريم المبارك .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
 اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١]
ليقف كل مسلم صادق مع نفسه سائلاً : هل
 امتثلت أمر الرسول ﷺ ؟ هل اجتنبت نهيه ؟!
 هل ارتبط اللسان بالحنان والجوارح ؟!
هل التزمت بهدى النبي ﷺ في شتى الأمور
 بحب واتباع وإخلاص !!
 مَنْ يَدَّعِ حُبَّ النَّبِيِّ وَلَمْ
 يُفِذْ مَنْ هَدِيهِ فَسَفَاهَةٌ وَهَرَاءُ

فاحْبُ أَوَّلَ شَرْطِهِ وَفُروْضِهِ

إِنْ كَانَ صَادِقًا طَاعَةً وَوَفَاءً

أَخِي فِي اللَّهِ : مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَةِ

الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

وَالْجَوَابُ مُبَاشِرَةٌ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ :

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ الْمَصْطَفَى ﷺ

« لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا السُّؤَالِ

أَحَدٌ قَبْلَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ «^(١) .

وفي رواية ابن حبان « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ، وَيُصَدِّقُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ » .

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ مَاتَ

(١) صحيح : رواه البخاري (٩٩) في العلم .

مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» ^(١) .

إِذَا حَتَّى يَشْفَعَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَجِبُ تَوْفَرُ شَرْطًا هَامًا جَدًا هَذَا الشَّرْطُ
أَنْ تَحَقِّقَ التَّوْحِيدَ . أَنْ تَقُولَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ
خَالِصَةً مِنْ قَلْبِكَ .

فَمَنْ النَّاسُ الْآنَ مَنْ يَرُدُّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ
بِلِسَانِهِ وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ ، وَمَنْ النَّاسُ مَنْ لَمْ
يَخْلُصِ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، بَلْ رَاحَ يَصْرِفُ

(١) سبق تخريجه .

العبادة لغير الله .

فهو لا يعرف لكلمة التوحيد معنى ، ولا
يقف لها على مضمون ، ولا يعرف لها مقتضى .
ومن الناس من يردد بلسانه لا إله إلا الله
وقد انطلق حرا طليقاً ليختار لنفسه من
المناهج الأرضية والقوانين الوضعية الفاجرة
ما يوافق هواه .

ومن الناس من ينطق بالكلمة ولا يتبع
منهج الحبيب محمد ﷺ !!

ومن الناس من يردد كلمة لا إله إلا الله وهو
لم يحقق الولاء والبراء !!

ومن الناس من يردد بلسانه كلمة لا إله
إلا الله وقد ترك الصلاة وضيع الزكاة وضيع
الحج مع قدرته واستطاعته ، وأكل الربا ،
وشرب الخمر ، وأكل أموال اليتامى ، يسمع
الأمر فيهبز كتفه في سخرية و كأن الأمر لا
يعنيه ، يسمع المواعظ فيهبز وكأن الأمر لا
يعنيه !!

فلا بد من إخلاص التوحيد ، كلمة التوحيد
ليست مجرد كلمة يرددّها الإنسان بلسانه
و فقط ، بل إن الإيمان قول باللسان وتصديق
بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن
الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فمن
قال خيراً وعمل خيراً قُبِلَ منه . ومن قال
خيراً وعمل شراً لم يُقْبَلْ منه .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » (١) .

وفي رواية عتبان بن مالك : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٤٣٥) في الأنبياء ومسلم رقم (٢٦٤٠) في الإيمان .

عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُبْتَغِي بِهَا وَجْهَ
الله « .

والله لن يسعد بشفاعة المصطفى ﷺ إلا من
أخلص التوحيد للعزیز الحمید واتبع المصطفى
ﷺ وأخلص له الاتباع .

ففي الحديث الذي رواه مسلم والترمذي
واللفظ للترمذي من حديث أنس أن النبي ﷺ
قال : قال الله تعالى في الحديث القدسي : « يَا

ابْنِ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ
 عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ
 بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي
 غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ
 آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي
 لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً^(١) .
 إنه التوحيد .. فأسعد الناس بشفاعة

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٣٥٣٤) ، وهو في صحيح
 الجامع رقم (٤٣٣٨) .

الحبيب النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً
من قلبه ، فكلمة التوحيد قد قيدت بشروط
ثقال عند قبولها من الملك المتعال .

فهي شجرة طيبة جذورها الحب والإخلاص
وساقها اليقين والقبول وأوراقها الانقياد ومن
غير الماء والضوء لا تعيش ، فالعلم لها ضوء
والصدق لها ماء .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن

يحسن خاتمتنا . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا
تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ، اللهم لا
تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنباً إلا
غفرته ولا مريضاً إلا شفيته ولا ديناً إلا
قضيته ، ولا همّاً إلا فرّجته ، ولا ميتاً إلا
رحمته ، ولا عاصياً إلا هديته ، ولا طائعاً
إلا سدّدته ، ولا حاجة هي لك رضا ولنا

فيها صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين .
اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ،
وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل
فينا ولا منا ولا معنا شقيا أو محروما .
اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببا لمن
اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنه فاقبضنا
إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين

ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .
اللهم ارحم المسلمين الخفاة واكسو
المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع .
اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين
برحمتك يا أرحم الراحمين .